الصفات الإلهية

بين العقل والنقل

بقلم

أ.د. محمد سيد أحمد المسير

أستاذ العقيدة والفلسفة

كلية أصول الدين بالقاهرة

الصفات العقلية :

وجود الله تعالى وصفات جلاله وكماله — أمور يوجبها العقل ، ويوقن بها من خلال نظرة تأملية يسيرة :

- فوجود الخلق دليل وجود الخالق .
- واستقامة الخلق دليل وحدة الخالق .
- وتنوع الخلق دليل إرادة الخالق .
- وعظم الخلق دليل قدرة الخالق .
- وحكمة الخلق دليل علم الخالق .
- وكل هذه الأشياء دليل حياة الخالق .
- وحدوث الخلق دليل قدم الخالق .
- ومن كان خالقا قديما فهو باق أبدى مباين لخلقه ، مالك لهم ، غنى عنهم ، وهو العلى الكبير .

وهكذا تتوالى صفات الجلال والكمال .

وجاءت نصوص القرآن المجيد تؤكد هذه الصفات وتوقظ الفطر السليمة للإيمان بها .

ففى قضية الوجود الإلهى نقرأ — على سبيل المثال . قوله تعالى :

« أم خلقوا من غير شىء ؟ أم هم الخالقون ؟ أم خلقوا السموات والأرض ؟ بل لا يوقنون »[1] .

وفى قضية الوحدانية نقرأ قوله سبحانه :

---

(١) سورة الطور — الآية ٣٥ : ٣٦

« لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون »[١] .

وفى قضية القدرة الإلهية نقرأ قوله جل شأنه :

« إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، يغشى الليل النهار ، يطلبه حثيثا ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين »[٢] .

وفى قضية الإرادة الإلهية نقرأ قوله تبارك وتعالى :

« قل اللهم مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شىء قدير ، تولج الليل فى النهار ، وتولج النهار فى الليل ، وتخرج الحى من الميت ، وتخرج الميت من الحى ، وترزق من تشاء بغير حساب »[٣] .

وفى قضية العلم الإلهى نقرأ قوله عز اسمه :

« وعنده مفاتح الغيب ، لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ، وهو الذى يتوفاكم بالليل ، ويعلم ما جرحتم بالنهار ، ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ، ثم إليه مرجعكم ، ثم ينبئكم بما كنتم تعملون »[٤] .

(١) سورة الأنبياء — الآية ٢٢
(٢) سورة الأعراف — الآية : ٥٤
(٣) سورة آل عمران — الآية : ٢٦ ، ٢٧
(٤) سورة الأنعام — الآية : ٥٩ : ٦٠

وفى قضية الحياة الإلهية نقرأ قوله تعالى :

« الله لا إله إلا هو ، الحى القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم »[١] .

وفى قضية القدم والبقاء نقرأ قوله سبحانه :

« هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم »[٢]

« كل شىء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون »[٣] .

* * *

وهكذا توافق النقل والعقل على هذه الصفات الإلهية ، والتقيا على وجوبها لله سبحانه وتعالى .

وهذا القدر مما لا يختلف عليه عاقلان ، ولا يتمارى فيه فريقان ، ولا يختصم حوله علماء المسلمين .

لكن شطحات الفكر وخيالات العقل دفعت بهم إلى جدل طويل حول مباحث ، لا يدركون كنهها ، ولا يعرفون حقيقتها ، ولا يستطيعون لها حلا ، فقد طرحوا تساؤلات حول الصفات مثل :

هل الصفات الإلهية عين الذات ، أو غير الذات أو لا عين ولا غير ؟! واتهم الفرقاء بعضهم بعضا . . . !!

لقد اختار المعتزلة والفلاسفة الأول ، واختار جمهور المتكلمين الثانى ، اختار الأشعرى الثالث .

وشنع المعتزلة على مخالفيهم بأنهم يعددون القدماء ويلزمهم القول بآلهة

(١) سورة البقرة — الآية : ٢٥٥
(٢) سورة الحديد — الآية : ٣
(٣) سورة القصص — الآية : ٨٨

شتى ، وإذا كان النصارى قد كفروا بثلاثة أقانيم فكيف بمن يقول بسبع صفات قديمة مغايرة للذات الإلهية ؟!

ورد مثبتو الصفات بأن المعتزلة معطلة ، جردوا الذات الإلهية عن التأثير فى الكون والكائنات ، وجعلوها وهما لاحقيقة لها ، وخيالا لا وجود لها .

ورأى المحققون من العلماء أن مسألة زيادة الصفات وعدم زيادتها ليست من الأصول التى يتعلق بها تكفير أحد الطرفين ، ونقل الإمام جلال الدين الدوانى المتوفى سنة ٩١٨ هـ عن بعض الأصفياء أنه لا يرى بأسا فى اعتقاد أحد طرفى النفى والإثبات فى هذه المسألة .

وقدم الشيخ الدوانى تحقيقا لقول الفلاسفة بعينية الصفات بأن ذاته تعالى من حيث إنه مبدأ لانكشاف الأشياء عليه — علم ، ولما كان مبدأ الانكشاف على ذاته بذاته كان عالما بذاته .

وكذا الحال فى القدرة والإرادة وغيرها من الصفات . قالوا : وهذه المرتبة أعلى من أن تكون الصفات مغايرة للذات ، فإنا مثلا نحتاج فى انكشاف الأشياء علينا إلى صفة مغايرة لنا ، قائمة بنا ، وهو تعالى لايحتاج إليها ، بل بذاته تنكشف الأشياء عليه .

ولذلك قيل : محصول كلامهم نفى الصفات وإثبات نتائجها وغاياتها ، وأما المعتزلة فظاهر كلامهم أنها عندهم من الاعتبارات العقلية التى لا وجود لها فى الخارج »[1] .

---

(١) الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين — تحقيق د. سليمان دنيا ج١ ص ٢٧٨

وأخر متشابهات

وردت نصوص شرعية تضيف ألفاظا إلى الله تعالى ، يقف العقل أمامها دون أن يقطع بها إثباتا أو نفيا ، وذلك كإضافة الوجه واليد والعين إلى الله سبحانه فى مثل قوله جل شأنه :

« كل شىء هالك إلا وجهه »[1] .

« يد الله فوق أيديهم »[2] .

« واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا »[3] .

فيكف يفهم المسلم هذه النصوص . . ؟!

إن الفرق الإسلامية على أربعة اتجاهات هى :

التفويض أو التشبيه أو التأويل أو الإثبات بضوابطه . وهاك التفصيل .

* * *

أولا : التفويض :

عامة السلف الذين تلقوا هدى الكتاب الكريم بقبول حسن ، وآثروا صحة الاعتقاد وكثرة العمل ، ونزهوا عقولهم عن الجدال والخوض فيما لايعنى — هؤلاء وجدوا أن فى آيات التنزيل ألفاظا قد

---

(١) سورة القصص — الآية : ٨٨

(٢) سورة الفتح — الآية : ١٠

(٣) سورة الطور — الآية : ٤٨

توهم التشبيه مثل قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى »[1] فجعلوها من المتشابه .

وأدركوا بسلامة فطرتهم أن العقل الإنسانى قاصر عن إدراك حقيقة الذات الإلهية وصفاتها فتوقفوا عن الخوض فيها ، وآثروا السلامة ففوضوا علم هذه الآيات إلى الله تعالى ، وقالوا : أمروها كما جاءت ، وإذا سئلنا عن تفسيرها لا نفسرها .

وقد نقل الإمام البغوى فى تفسيره رواية عن سفيان الثورى ، والأوزاعى ، والليث بن سعد ، وسفيان بن عيينة ، وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة فى هذه الآيات التى جاءت فى الصفات المتشابهات: « أمروها كما جاءت بلا كيف » .

ونقل الإمام الخازن فى تفسيره روايات للبيهقى منها :

● رواية يحيى بن يحيى قال : كنا عند مالك بن أنس ، فجاء رجل فقال : يا أبا عبد الله « الرحمن على العرش استوى » كيف استواؤه ؟ فأطرق مالك برأسه حتى علته الرحضاء[2] ثم قال :

الاستواء غير مجهول[3] ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

وما أراك إلا مبتدعا ، فأمر به أن يخرج .

● رواية عن ابن عيينة قال :

(١) سورة طه — الآية : ٥

(٢) الرحضاء : العرق

(٣) أى معلوم معناه اللغوى لكنه غير معقول الثبوت لله تعالى

كل ما وصف الله تعالى به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه :

● ثم ذكر الخازن أن البيهقى قال :

والآثار عن السلف فى مثل هذا كثيرة ، وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه ، وإليه ذهب أحمد بن حنبل ، والحسن ابن الفضل البجلى ، ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابى »[1] .

وقد تكلم الإمام الشهرستانى عن فريق من السلف توقفوا فى التأويل وقالوا :

لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه ، ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها ، بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بأنه لا شريك له ، وليس كمثله شىء ، وذلك قد أثبتناه يقينا .

وأكد الشهرستانى أن منهاج السلف المتقدمين هو طريق السلامة فقالوا : نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ، ولا نتعرض للتأويل[2] ، بعد أن نعلم قطعا أن الله عز وجل لا يشبه شيئا من المخلوقات ، وأن كل ما تمثل فى الوهم فإنه خالقه ومقدره .

ونقل الشهرستانى أنهم كانوا يحترزون عن التشبيه إلى غاية أن قالوا : من حرك يده عند قراءة قوله تعالى « خلقت بيدى » ، أو أشار بأصبعيه

(١) لباب التأويل فى معانى التنزيل للإمام علاء الدين على بن محمود ابن إبراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن — فرغ من تأليفه يوم الأربعاء العاشر من رمضان سنة ٧٢٥ هـ ، وبهامشه معالم التنزيل للإمام البغوى حـ ٢ ص ١٩٦ ط المكتبة التجارية الكبرى

(٢) التأويل بمعنى التفسير أى لا نفسرها

عند رواية « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن »، وجب قطع يده وقلع أصبعيه . .

واحتاط بعضهم أكثر إحتى لم يقرأ اليد بالفارسية ، ولا الوجه ، ولا الاستواء ، ولا ما ورد من جنس ذلك ، بل إن احتاج فى ذكره إلى عبارة عبر عنها بما ورد لفظا بلفظ ، فهذ هو طريق السلامة »[1] .

ولعل هذا المنهج التفويضى هو ما كان شائعاً على عهد الصحابة رضى الله عنهم ، وقد أخرج الدارمى فى مسنده ، ونصر المقدسى فى الحجة عن سليمان ابن يسار أن رجلا يقال له : صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فأرسل إليه عمر ، وقد أعد له عراجين النخل ، فقال : من أنت ؟!

قال : أنا عبد الله صبيغ ، فقال : وأنا عبد الله عمر .

فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه حتى دمى رأسه ، فقال : يا أمير المؤمنين حسبك فقد ذهب الذى كنت أجد فى رأسى . . !!

وأخرجه الدارمى أيضا من وجه آخر وفيه :

أنه ضربه ثلاث مرات ، يتركه فى كل مرة حتى يبرأ ثم يضربه . .

وأخرج أصل القصة ابن عساكر فى تاريخه عن أنس . .

وأخرج الدارمى وابن عساكر أن عمر كتب إلى أهل البصرة أن لا يجالسوا صبيغا . . »[2] .

لقد كان الصحابه يسارعون إلى الخيرات ، ولم يتوقفوا عند لفظة

(١) راجع الملل والنحل — تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ص٢٩٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ط دار الفكر — بيروت

(٢) نقلا عن تفسير الإمام الشوكانى « فتح القدير » حـ ١ ص ٣١٩ وراجع حياة الصحابة للكاندهلوى حـ ٢ ص ٧٤٦

أو ألفاظ قد يغيب فهمها عنهم أو تعلو على مدار كهم ، ومضوا فى يقين الصادقين وإخلاص المؤمنين وطهارة الأبرار ينشرون الإسلام فى كل مكان . .

ونقل عن الصديق رضى الله عنه أنه سئل عن قوله تعالى « وفاكهة وأبا »[1] فقال : أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى إن أنا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم . .

وجاءت مقوله حكيمة تنسب إلى مسروق قال :

اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله[2] . . !!

وهؤلاء المفوضة يقفون وقفا لازما على لفظ الجلالة فى قوله تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب ، منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات .

فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .

وما يعلم تأويله إلا الله . . » ثم يستأنفون القراءة : « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا . . »[3] .

فهم يرون أن تأويل المتشابه وتفسيره وإدراك معناه مقصور على الله تعالى وأن شأن الراسخين فى العلم التفويض والإيمان بأن له معنى يليق بالله تعالى — يعلمه الله . .

(١) سورة عبس — الآية ٣١

(٢) نقلا عن « الموافقات فى أصول الشريعة » للإمام الشاطبى حـ ٣ ص ٣١٦ ط دار الكتب العلمية

(٣) سورة آل عمران — الآية ٧

وهذا الاتجاه التفويضي لدى السلف أبرزه ابن خلدون وجعله فاتحة كلامه عن كشف الغطاء عن المتشابه من الكتاب والسنة، وقال: ويدل على أن التأويل فيها غير معلوم للبشر أن الألفاظ اللغوية إنما يفهم منها المعاني التي وضعها العرب لها، فإذا استحال إسناد الخبر إلى مخبر عنه جهلنا مدلول الكلام حينئذ، وإن جاءنا من عند الله فوضنا علمه إليه، ولا نشغل أنفسنا بمدلول نلتمسه، فلا سبيل لنا إلى ذلك ...

وقد قالت عائشة رضي الله عنها:

«إذا رأيتم الذين يجادلون في القرآن فهم الذين عنى الله فاحذروهم».

هذا مذهب السلف في الآيات المتشابهة، وجاء في السنة ألفاظ مثل ذلك، محملها عندهم محمل الآيات، لأن المنبع واحد»[1].

وانتهى ابن خلدون إلى تقرير أن مذهب السلف هو تفويض المراد بها إلى الله، والسكوت عن فهمها..

التشبيه:

ترتكز عقيدة التشبيه على ظواهر النصوص، وتفسرها من خلال معاجم اللغة، بناء على أن القرآن نزل بلسان عربي مبين..

فنحن جميعاً نبحث عن ألفاظ القرآن لنفهمها من حيث الوضع العربي ما لم يرد صارف شرعي ينقلها إلى معنى آخر، فالصلاة — مثلاً — نأخذها بالمعنى اللغوي وهو الدعاء، في قوله تعالى: «وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم»[2].

(١) مقدمة ابن خلدون المتوفى ٨٠٨ هـ، ص ٣٧٥ ط دار الكتب العلمية — بيروت سنة ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م

(٢) سورة التوبة — الآية ١٠٣

ونأخذها بالمعنى الشرعي في قوله تعالى: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين»[1]، فهي أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم..

فإذا قرأنا مثل هذه الآيات:

«ثم استوى على العرش»[2].

«واصنع الفلك بأعيننا ووحينا»[3].

«أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون»[4]

«ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام»[5].

فالمرجع إلى اللغة العربية، فيكون لله تعالى استواء كاستوائنا، وعين كعيننا، ويد كيدنا، ووجه كوجهنا.. إلخ.

ووصل هؤلاء المشبهة — كما قال الشهرستاني — إلى أنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة، وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض.

وحكى الكعبي عن بعضهم أنه كان يجوز الرؤية في دار الدنيا، وأن يزوروه، ويزورهم.

(١) سورة البقرة — الآية ٢٣٨

(٢) سورة الأعراف — ٥٤

(٣) سورة هود — الآية ٣٧

(٤) سورة يس — الآية ٧١

(٥) سورة الرحمن — الآية ٢٧

وحكى عن داود الجوارى أنه قال : « اعفونى عن الفوج واللحية واسألونى عما وراء ذلك » !! .

وقال : إن معبوده جسم ولحم ودم ، وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ورأس ، ولسان وعينين وأذنين ، ومع ذلك جسم لا كالأجسام ولحم لا كاللحوم ، ودم لا كالدماء .. !!

وكذلك سائر الصفات ، وهو لا يشبه شيئا من المخلوقات ، ولا يشبهه شىء .. !!

وحكى عنه أنه قال : هو أجوف من أعلاه إلى صـــدره ، مصمت ما سوى ذلك ، وأن له وفرة[1] سوداء ، وله شعر قطط[2] »[3] .

ومن زعماء المشبهة أبو عبد الله محمد بن كرام من سجستان ، وبلغ أتباعه فى خراسان أكثر من عشرين ألفاً ، وكان له مثل ذلك فى أرض فلسطين ، وصفه الشهرستانى فقال :

ونبغ رجل متنمس[4] بالزهد من سجستان ، يقال له أبو عبد الله محمد بن كرام ، قليل العلم ، قد قمش[5] من كل مذهب ضغثا[6] ، وأثبته فى كتابه ، وروجه على أغتام[7] غرجة ، وغور ، وسواد بـــلاد خراسان ..

(١) الوفرة : ما سال على الأذنين من الشعر .
(٢) قطط : جعد شديد الجعودة .
(٣) الملل والنحل ص ١٠٥
(٤) أى متستر .
(٥) أخذ رذائل المذاهب .
(٦) الباطل والفاسد .
(٧) عوام هذه المناطق .

فانتظم ناموسه ، وصار ذلك مذهباً ، وقد نصره محمود بن سبكتكين السلطان ، وصب البلاء على أصحاب الحديث والشيعة من جهتهم ، وهو أقرب مذهب إلى مذهب الخوارج ، وهم مجسمة ، وحاش ، غير محمد ابن الهيصم فإنه مقارب »[1] .

وذكره ابن كثير فى تاريخ سنة خمس وخمسين ومائتين ، ونقل أنه ينسب إلى ابن كرام جواز وضع الأحاديث على الرسول ﷺ وأصحابه وغيرهم . . وأنه كان يقول إن الإيمان قول بلاعمل . .

ولما حبس وطال حبسه كان يتأهب لصلاة الجمعة ويأتى إلى السجان فيقول له : دعنى أخرج إلى الجمعة فيمنعه فيقول : اللهم إنك تعلم أن المنع من غيرى[2] . .

ثالثاً : التأويل :

وجد فريق من العلماء أن المشبهة قـــد وقعوا فى مزلق خطير هو تشبيه الخالق بالمخلوق ، وهو نقص يتنزه عنه المولى سبحانه ..

ونقموا على المشبهة أنهم لم يفهموا لغة العرب ، فإن فيها الحقيقة والمجاز ، وأنه إذا خلا الكلام من المجاز فقد خلا من الحسن .

فبدأ هؤلاء العلماء يصرفون الآيات عن ظواهرها اللغوية ويفسرونها تفسيراً مجازياً مناسباً للمقام .

فاليد بمعنى القدرة أو العطاء أو النعمة .

والوجه كناية عن الذات بأجمعها ..

(١) الملل والنحل ص ٣١
(٢) البداية والنهاية لابن كثير تحقيق / محمد عبد العزيز النجار .

والعين مجاز عن الرعاية .

والاستواء تعبير عن الاستيلاء والقهر والسلطان .

وقالوا ليس يعقل أن يكون لله تعالى صفة تسمى اليد فهما من قوله تعالى « يد الله فوق أيديهم » ، وصفة تسمى اليدين فهما من قوله جل شأنه « لما خلقت بيدى » ، وصفة تسمى الأيدى فهما من قوله سبحانه « مما عملت أيدينا » . . ا!

وإذا كان صرف اللفظ من حقيقته إلى مجازه يحتاج إلى قرينة فإن القرينة فى مثل هذه الآيات هو التشبيه الذى لا يليق بجلال الله وكماله ، فيكون المعنى الحقيقى غير مراد ، وينبغى صرف اللفظ إلى المجاز .

ونسوق هنا نموذجا تفصيليا للراغب الأصفهانى المتوفى سنة ٥٠٢ هـ قال :

يد : اليد الجارحة .

واستعير اليد للنعمة فقيل : يديت إليه أى أسديت إليه ، وتجمع على أياد وقيل : يَدىً ، قال الشاعر :

فإن له عندى يديا وأنعما

وللجود والملك مرة ، يقال هذا فى يد فلان ، أى فى حوزه وملكه ، قال تعالى « إلا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح »[1] .

وقولهم : وقع فى يَدَىْ عدل

وللقوة مرة ، يقال لفلان يد على كذا ، ومالى بكذا يد ، ومالى به يدان ، قال الشاعر :

(١) سورة البقرة — ٢٣٧

فاعمد لما تعلو فما لك بالذى
لا تستطيع من الأمور يدان

ويقال : وضع يده فى كذا إذا شرع فيه .

ويده مطلقة عبارة عن إيتاء النعيم .

ويده مغلولة عبارة عن إمساكها ، وعلى ذلك قيل « وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء »[1] .

ويقال : نفضت يدى عن كذا أى خليت .

وقوله عز وجل « إذ أيدتك بروح القدس »[2] أى قويت يدك .

وقوله « فويل لهم مما كتبت أيديهم »[3] فنسبته إلى أيديهم تنبيه على أنهم اختلقوه ، وذلك كنسبة القول إلى أفواههم فى قوله عز وجل « ذلك قولهم بأفواههم »[4] تنبيها على اختلاقهم .

وقوله « أم لهم أيد يبطشون بها »[5] وقوله « أولى الأيدى والأبصار »[6] إشارة إلى القوة الموجودة لهم .

وقوله : « واذكر عبدنا داود ذا الأيد »[7] أى القوة .

وقوله : « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون »[8] أى يعطون

(١) سورة المائدة — ٦٤
(٢) سورة المائدة — ١١٠
(٣) سورة البقرة — ٧٩
(٤) سورة التوبة — ٣٠
(٥) سورة الأعراف — ١٩٥
(٦) سورة ص — ٤٥
(٧) سورة ص — ١٧
(٨) سورة التوبة — ٢٩

ما يعطون عن مقابلة نعمة عليهم فى مقارنهم ، وموضع قوله : « عن يد » فى الإعراب حال ، وقيل بل اعتراف بأن أيديكم فوق أيديهم أى يلتزمون الذل .

ويقال : فلان يد لفلان أى وليه وناصره .

ويقال لأولياء الله هم أيدى الله ، وعلى هذا الوجه قال الله عز وجل « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم »[1] فإذا يده عليه الصلاة والسلام يد الله ، وإذا كان يده فوق أيديهم فيد الله فوق أيديهم ويؤيد ذلك ما روى « لايزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها . . . الحديث .

وقوله « مما عملت أيدينا »[2] وقوله : « لما خلقت بيدى »[3] فعبارة عن توليه لخلقه باختراعه الذى ليس إلا له عز وجل ، وخص لفظ اليد ليتصور لنا المعنى ، إذ هو أجل الجوارح التى يتولى بها الفعل فيما بيننا ، ليتصور لنا اختصاص المعنى لا ليتصور منه تشبيها .

وقيل معناه بنعمتى التى رشحتها لهم ، والباء فيه ليس كالباء فى قولهم قطعته بالسكين بل هو كقولهم خرج بسيفه أى معه سيفه ، معناه خلقته ومعه نعمتاى الدنيوية والأخروية اللتان إذا رعاهما بلغ بهما السعادة الكبرى .

وقوله : « يد الله فوق أيديهم » أى نصرته ونعمته وقوته .

---

(١) سورة الفتح — ١٠

(٢) سورة يس — ٧١

(٣) سورة ص — ٧٥

وأما قوله تعالى : « ولما سقط فى أيديهم »[1] أى ندموا ، يقال سقط فى يده وأسقط ، عبارة عن المتحسر أو عمن يقلب كفيه كما قال عز وجل « فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها »[2] .

وقوله : « فردوا أيديهم فى أفواههم » أى كفوا عما أمروا بقبوله من الحق ، يقال : رد يده فى فمه أى أمسك ولم يجب .

وقيل ردوا أيدى الأنبياء فى أفواههم أى قالوا ضعوا أناملكم على أفواهكم واسكتوا .

وقيل ردوا نعم الله بأفواههم أى بتكذيبهم . . . »[3] .

وزعماء هذا الاتجاه جمهور المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة .

لكن المعتزلة يجعلون التأويل الأختيار الأوحد ، ولا بديل عنه ، أما الأشاعرة فيجعلون التأويل ثانى اثنين ، فهم يقولون بالتأويل أو التفويض بل يميل كثير منهم إلى ترجيح جانب التفويض . . .

وعلى سبيل المثال فإن الإمام الرازى فى تفسيره يختار التفويض ويقول : « لا يعلم المتشابه إلا الله ، وهذا قول ابن عباس وعائشة ومالك ابن أنس والكسائى والفراء ، ومن المعتزلة أبو على الجبائى ، وهو المختار عندنا . . . »

ثم يقول :

---

(١) سورة الأعراف — ١٤٩

(٢) سورة الكهف — ٤٢

(٣) المفردات فى غريب القرآن لأبى القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى — تحقيق محمد سيد كيلانى ص ٥٥٠ ط دار المعرفة بيروت .

«دل الدليل على أنه يمتنع أن يكون الإله فى مكان ، فعرفنا أنه ليس مراد الله تعالى من هذه الآية «الرحمن على العرش استوى» ما أشعر به ظاهرها.

إلا أن فى مجازات هذه اللفظة كثرة ، وصرف اللفظ إلى البعض دون البعض لا يكون إلا بالترجيحات اللغوية الظنية .

والقول بالظن فى ذات الله تعالى وصفاته غير جائز بإجماع المسلمين .

وهذه حجة قاطعة فى المسألة .

والقلب الخالى عن التعصب يميل إليه .

والفطرة الأصلية تشهد بصحته ، وبالله التوفيق»[1] .

وفى موضع آخر من التفسير يسوق للعلماء الراسخين مذهبين ، يجعل أولهما أن نقطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة ولا نخوض فى تأويل الآية على التفصيل بل نفوض علمها إلى الله ...

ثم يعلق عليه قائلا :

وهذا المذهب هو الذى نختاره ونقول به ونعتمد عليه»[2] .

وانتقد عضد الدين الإيجى موقف أبى الحسن الأشعرى من هذه النصوص ، وساقها تحت عنوان «صفات اختلف فيها» ، وقال عن الاستواء : «وذهب الشيخ (الأشعرى) فى أحد قوليه إلى أنه صفة زائدة، ولم يقم دليلا ، ولا يجوز التعويل على الظواهر مع قيام الاحتمال .

وقال عن الوجه :

«أثبته الشيخ فى أحد قوليه ، وأبو اسحق الإسفرايني والسلف

(١) التفسير الكبير أو مفاتح الغيب ج ٧ ص ١٩٠

(٢) التفسير الكبير ج ١٤ ص ١٢١

صفة زائدة ، وقال فى قوله آخر ، ووافقه القاضى إنه الوجود ، وهو — كما قبله — فى عدم القاطع»[1] .

ومن هنا جاء نظم الشيخ اللقانى فى جوهرة التوحيد :

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ، ورم تنزيها

رابعاً : الإثبات بضوابط

رفض جمع من السلف والخلف الاتجاهات الثلاثة السابقة ، واصطنعوا مذهبا يقوم على الإثبات للوصف مع نفى التشبيه ورفض التأويل والطعن فى التفويض .

وجاء فى كتاب «الفقه الأكبر» المنسوب إلى الإمام أبى حنيفة :

وله (تعالى) يد ووجه ونفس ، كما ذكره الله تعالى فى القرآن ، فما ذكره الله تعالى فى القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف ، ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته ، لأن فيه إبطال الصفة ، وهو قول أهل القدر والاعتزال ، ولكن يده صفته بلا كيف ، وغضبه ورحمته صفتان من صفاته تعالى بلا كيف»[2] .

وللإمام محمد بن إسحق بن خزيمة كتاب فى هذا الموضوع يسمى «التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل» قال فيه :

«فأول ما نبدأ به من ذكر صفات خالقنا جل وعلا فى كتابنا هذا — ذكر نفسه ، جل ربنا عن أن يكون نفسه كنفس خلقه ،

(١) المواقف ص ٢٩٧

(٢) شرح كتاب الفقه الأكبر لأبى حنيفة النعمان المتوفى سنة ١٥٠ هـ للملا على القارىء المتوفى سنة ١٠١٤هـ ص٥٨ط دار الكتب العلمية بيروت

وعز عن أن يكون عدما لا نفس له، قال الله جل ذكره لنبيه محمد ﷺ « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم، كتب ربكم على نفسه الرحمة » .

* * *

« فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق بذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، وعز ربنا عن أن نشبهه بالمخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز عن أن يكون عدما كما قال المبطلون » .

• • •

« وصفة سبحات[1] وجهه عز وجل، تعالى ربنا عن أن يكون وجه ربنا كوجه بعض خلقه، وعز أن لا يكون له وجه، إذ الله قد أعلمنا في محكم تنزيله أن له وجها ذواه بالجلال والإكرام، ونفى الهلال عنه »[2]:

وذهب أبو الحسن الأشعرى إلى نفس الاتجاه فى كتابه « مقالات الإسلاميين» وحكى جملة ما عليه أهل الحديث والسنة من عقائد فى الإلهيات ومنها : الإقرار بأن الله سبحانه على عرشه كما قال « الرحمن على العرش استوى » وأن له يدين بلا كيف كما قال « خلقت بيدى » ،وكما قال « بل يداه

(١) سبحات الله — بضم السين المهلة والباء الموحدة — جلاله وعظمته وهى فى الأصل جمع سبحة، وقيل أضواء وجهه، وقيل محاسنه لأنك إذا رأيت حسن الوجه قلت سبحان الله

(٢) كتاب « التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل » لابن خزيمة المتوفى سنة ٣١١ هـ، راجعه وعلق عليه د. محمد خليل هراس، صـ ١٠، ١٩ ط دار الكتب العلمية — بيروت سنة ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨م

مبسوطتان » ، وأن له عينين بلا كيف كما قال « تجرى بأعيننا » ، وأن له وجها . كما قال « ويبقى وجه ربك »[1] .

وتبنى ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ وأتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ١٢٠٦هـ هذا الاتجاه ودافعوا عنه بشدة ، وأنكروا أن يكون التفويض مذهبا للسلف وأكدوا أن علماء السلف لم يكفوا عن بيان معنى الآيات المتشابهات ولا تركوا تفسيرها ، وإنما حملوها على أنها كلها صفات لله عز وجل ، فهى معلومة عندهم والكيف هو المجهول كما فى سائر ما يخص الله تعالى . .

ويرى شارح الطحاوية ابن أبى العز الدمشقى المتوفى سنة ٧٩٢هـ أن لفظ التشبيه قد صار فى كلام الناس لفظا مجملا يراد به المعنى الصحيح . .

ويذهب إلى أن ما دل عليه الكتاب والسنة ليس تشبيها طالما فهمناه فى إطار قوله تعالى « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » ويرى أن الشق الأول من هذا النص « ليس كمثله شيء » رد على المشبهة ، وأن الشق الثانى « وهو السميع البصير » رد على النفاة المعطلة .

ويحفظ شارح الطحاوية للمذهبين حسن نيتهما ومدخلهما الصحيح فى نظره ويقول :

فالنفاة أحسنوا فى تنزيه الخالق سبحانه عن التشبه بشيء من خلقه ، ولكن أساءوا فى نفى المعانى الثابتة لله تعالى فى نفس الأمر .

والمشبهة أحسنوا فى إثبات الصفات ولكن أساءوا بزيادة التشبيه »[2].

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين — تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد

(٢) شرح العقيدة الطحاوية صـ ١٠٤ ط المكتب الإسلامى سنة ١٣٩٩هـ

وقد رفض ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨هـ أن يكون الإثبات بضوابطه مذهبا للسلف، ونسبه إلى جماعة منهم، هم المحدثون والمتأخرون من الحنابلة، ووصفهم بالارتباك فى حمل هذه الصفات، حين حملوها على صفات ثابتة لله تعالى مجهولة الكيف، وأكد أنهم بذلك قد وقعوا فى باب التشبيه الذى تنفيه آيات السلوب، من قوله تعالى :

« ليس كمثله شيء »[1] .

« سبحان الله عما يصفون »[2] .

« سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا »[3] .

« لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد »[4] .

وأن مايسمونه تنزيها فى قولهم: يد لا كالأيدى، أو وجه لا كالوجوه، هو قول متناقض سفساف[5] . . . »

نموذج تطبيقى :

نقدم للقارىء الكريم توضيحا لهذه المذاهب الأربعة حول قوله تعالى « يد الله فوق أيديهم » :

فالمفوضة يقولون : الله أعلم بمراده، ولا يثبتون يدا ولا ينفونها، ولا يقولون إنها حقيقة أو مجاز . .

---

(١) سورة الشورى، الآية ١١

(٢) سورة المؤمنون، الآية ٩١

(٣) سورة الإسراء ٤٣

(٤) سورة الإخلاص ٣، ٤

(٥) مقدمة ابن خلدون ص ٣٧٧، ٣٧٨ ط دار الكتب العلمية — بيروت

والمشبهة يقولون : إن لله تعالى يداً تشبه أيدينا، لأن هذا هو وضع اللغة، ونحن لا نعرف اليد إلا اليد البشرية . .

والمؤولة يقولون : اليد هنا مجاز عن القدرة، وقد صرفنا اللفظ عن ظاهره اللغوى بقرينة النقص اللازم له وهو التشبيه، والله تعالى منزه عن النقص ومشابهة خلقه . .

ومذهب الإثبات يرى أن لله يدا حقيقية تثبت لله تعالى بلا تفويض فلا يقال الله أعلم بمراده، وبلا تشبيه فلا يقال إن له يدا تشبه أيدينا، وبلا تأويل فلا يقال إن اليد مجاز عن القدرة . .

تعقيب ورأى

١ — حكمة المتشابه :

إن العقل المسلم الذى بدأ مع الأمر القرآنى الأول «إقرأ» لا يكون إلا عقلا مجتهداً ، يبحث وينقب ، ويحلل ويركب ، ويعلل ويستنبط .. وقضية المحكم والمتشابه ما هى إلا تأكيد لأهمية الاجتهاد فى الدين ..

وقد ساق الإمام الزمخشرى تساؤلا هو :

هلا كان القرآن كله محكما ؟ !

وأجاب قائلا :

لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ..

ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذى لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به ..

ولما فى المتشابه من الإبتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ...

ولما فى تقادح العلماء وإتعابهم القرائح فى استخراج معانيه ، وورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة ، والعلوم الجمة ، ونيل الدرجات عند الله .. ولأن المؤمن المعتقد أن لا مناقضة فى كلام الله ، ولا اختلاف ، إذا رأى فيه ما يتناقض فى ظاهره ، وأهمه طلب ما يوفق بينه ، ويجريه على سنن

واحد ، ففكر وراجع نفسه وغيره ، ففتح الله عليه ، وتبين مطابقة المتشابه المحكم — ازداد طمأنينة إلى معتقده ، وقوة فى إيقانه .. »[1] .

إن آية سورة آل عمران فى المحكم والمتشابه ترشد إلى أن أصول الكتاب واضحة المعنى ، بينة الدلالة ، محروسة من الاحتمال ، ولهذا كانت محكمات يلتقى عليها المؤمنون الصادقون فى عقائدهم وعباداتهم ، فالتوحيد الخالص لله تعالى ، ونبوة محمد ﷺ وعموم رسالته وختمها للوحى الإلهى ، وفرضية الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وحرمة الربا والزنا والقتل والسرقة .. إلخ ، هذه كلها محكمات .

وهناك متشابهات تحتاج إلى فطنة عقل وروية فكر واجتهاد علم ، كى تحمل على أحسن المحامل وأقرب الوجوه وأصدق التأويل ..

وهذا شأن الراسخين فى العلم بما منحهم الله من الحجة والبيان كما منح المرسلين من خلقه . .

قال تعالى : « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم »[2] .

والراسخون فى العلم هم الذين يوكل إليهم أمر البيان والاستنباط ، وهم أهل الذكر المشار إليهم فى قوله تعالى : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم »[3] .

---

(١) الكشاف جـ ١ ص ١٣٤ ط الأولى سنة ١٣٤٣ هـ .
(٢) سورة الأنعام ، الآية ٨٣
(٣) سورة النساء ، الآية ٨٣

وقوله جل شأنه : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »[1] .

ولهذا فنحن نرجح أن الراسخين فى العلم يعلمون التأويل الصحيح للمتشابهات على قدر طاقتهم البشرية ، ونرى أن العطف أولى من الوقف فى قوله تعالى : « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم »[2] .

ونقل القرطبى عن شيخه أبى العباس أحمد بن عمر قوله :

وهو الصحيح ، فإن تسميتهم راسخين تقتضى بأنهم يعلمون أكثر من المحكم الذى يستوى فى علمه جميع من يفهم كلام العرب ..

وفى أى شىء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلا ما يعلم الجميع ؟!!

لكن المتشابه متنوع ، فمنه ما لا يعلم ألبتة كأمر الروح والساعة مما استأثر الله بعلمه ، وهذا لا يتعاطى علمه أحد ، فمن قال من العلماء الحذاق بأن الراسخين لا يعلمون علم المتشابه فإنما أراد هذا النوع .

وأما ما يمكن حمله على وجوه فى اللغة فيتأول ويعلم تأويله المستقيم ويزال ما فيه من تأويل غير مستقيم »[3] .

---

(٣) سورة الأنبياء — الآية ٧

(١) سورة آل عمران — الآية ٧

(٢) الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ، المتوفى ٦٧١ هـ جـ ٤ ص ١٨ ط مؤسسة مناهل العرفان — بيروت .

٢ — نبذ التشبيه :

نحن نقبل المذاهب الاجتهادية فى الصفات ، اللهم إلا مذهب التشبيه ، فإنه لا مستند له من العقل ولا تأييد له من الشرع ، فنبذ التشبيه هو الأكرم للعقل والأصح فى الدين ..

ولا يعنينا ما يقال إن المشبهة أرادوا الإثبات ثم غلوا فيه ، فكم من النوايا الحسنة الحمقاء تلقى بأصحابها فى الدرك الأسفل من النار ، ولقد ابتدع النصارى الرهبانية ابتغاء رضوان الله وقبحهم الله وذمهم ..

فقال : « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم ، وكثير منهم فاسقون »[1] .

وعبد المشركون الأصنام زلفى إلى الله ، ولحقهم مذمة الكفر والكذب ، وعار الجهل وعاقبة الخسران .

قال تعالى : « ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ، ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار »[2] .

إن المشبهة — عند حسن الظن بهم — أغبياء جهلاء ، فإن الله تعالى لا يماثله أحد من خلقه :

---

(١) سورة الحديد — الآية ٢٧

(٢) سورة الزمر — الآية ٣

« ليس كمثله شيء وهو السميع البصير »[١] .

« ولم يكن له كفوا أحد »[٢] .

والمشبهة — عند سوء الظن بهم — عملاء دخلاء ، يحملون أفكارا وثنية ، يريدون إقحامها على العقيدة الإسلامية ، فالوثنية كلها قائمة على تشبيه الخالق بالمخلوق ، وإثبات النقص للمعبود .. قال تعالى :

« واتل عليهم نبأ إبراهيم ، إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون ، قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين، قال هل يسمعونكم إذتدعون أوينفعونكم أويضرون ، قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون »[٣] .

---

(١) سورة الشورى — الآية ١١

(٢) سورة الإخلاص — الآية ٤

(٣) سورة الشعراء ٦٩ : ٧٤

٣ — حرية الاختيار :

لاحرج على المسلم — بعد نبذ التشبيه — أن يعتقد مذهبا من المذاهب الثلاثة :

التفويض أو التاويل أو الإثبات بضوابطه .

فإن التفويض تسليم ، فالمسألة أكبر من العقل وأعظم من أن نحكم فيها بيقين كامل بل هو ترجيح وكفى .

وإن التأويل تنزيه وليس تعطيلا كما يزعم البعض ، فالمؤولة يعرفون جلال الله وكماله حق المعرفة ، ولاينازع فى ذلك إلا مكابر .

وإن الإثبات بضوابطه هو لون من التأويل ، فإنهم عندما يقولون نثبت ما أثبته الله لنفسه بلا تشبيه فقد قالوا بالمجاز ، فإن صرف اللفظ عن ظاهره فى الوضع العربى هو مجاز وتأويل ، فإن اللغة لا تعرف يدا حقيقية إلا اليد البشرية بلحمها وشحمها وعظمها ، ومتى أثبتوا لله تعالى يدا لاكالأيدى فقد لزمهم المجاز .

ومن هنا فنحن نخفف الوطء وتدعو إلى التقارب بين هذه المذاهب ونرجو عدم التصايح بعبارات التفسيق والتبديع تجاه هؤلاء الفرقاء ، فلم تكن المسألة فى يوم ما على عهد النبوة الأولى موضع أخذ ورد ، ولا تساؤل واستفهام ، وتركت المسألة للفهم الصافى الذى درج عليه العربى الفصيح ..

٤ — وجهة نظر :

إن الذين يخوضون فى الصفات الخبرية ويجمعونها ويجادلون حولها، ويجعلونها محور العقيدة وأساس الدين — هؤلاء يفتقدون الحس اللغوى البليغ وتنقصهم الخشية من الله تعالى .

فإن آيات مايسمى بالصفات الخبرية لم ترد لإثبات أجزاء للذات الإلهية ولا لتحديد أعضاء لها ..!!

إنها آيات ذات دلالة حكيمة لها صلة موضوعية بالسياق الذى وردت فيه .. فقوله تعالى « يد الله فوق أيديهم » لم يرد فى القرآن المجيد لإثبات اليد ، ولا للحديث عن أوصاف الإله ، وإنما جاء لتأكيد بيعة المؤمنين لرسول الله ﷺ ، وحثهم على الوفاء لها والالتزام بها والحرص عليها .

ولنقرأ :

« إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما »(١) .

وقوله جل شأنه « فإنك بأعيننا » لم يأت لإثبات العين لله تعالى ولا علاقة له بهذا الجانب مطلقا ، لقد جاء التعبير الكريم دعوة للصبر ، وتثبيتاً لقلب النبى ﷺ ، ودعماً له فى موقفه أمام أعدائه ، وبياناً لفضل الله عليه ورعايته له ..

(١) سورة الفتح — الآية ١٠

ولنقرأ :

« واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ، وسبح بحمد ربك حين تقوم ، ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم »(١) .

وقوله سبحانه « الرحمن على العرش استوى » ماجاء لإثبات صفة ذات لله تعالى وإنما لتأكيد صفة فعل للواحد القهار .

إن السياق القرآنى لهذا التعبير الكريم فى سابقه ولاحقه يجلى آثار الإبداع والقدرة والهيمنة الإلهية .

ولنقرأ :

« تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلا ، الرحمن على العرش استوى ، له مافى السموات ومافى الأرض ومابينهما وماتحت الثرى »(٢) .

ولنقرأ أيضا :

« الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش ، وسخر الشمس والقمر ، كل يجرى لأجل مسمى ، يدبر الأمر ، يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون »(٣) .

ولو أخذنا مثالا من الحديث النبوى الشريف لوجدنا أن الأمر لايختلف عما قلناه من أن السياق اللغوى هو الذى يحدد المعنى المراد ..

فى صحيح الحديث قال رسول الله ﷺ :

لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته

(١) سورة الطور — الآية ٤٨ ، ٤٩

(٢) سورة طه — الآية ٤ ، ٦

(٣) سورة الرعد — الآية ٢

بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها وقد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح» .

فبالله عليك ماذا يفهم الإنسان السوى من هذا الحديث الشريف ؟ !

هل المسألة المطروحة هنا هى إثبات الفرح صفة لله تعالى ؟ !

لقد أراد النبى ﷺ أن يفتح باب الأمل أمام الإنسان ، وينتشله من وهدة ذنوبه ومعاصيه ، ويرتفع به إلى سمو الطهارة الروحية والأخلاقية.. وهذا هو محور الحديث ومقصده . .

إن هؤلاء الذين يتخذون من تلك النصوص الكريمة دلائل لما يسمى الصفات الخبرية يفقدون الحس اللغوى البليغ . . ! !

لقد أتى بعضهم بأمر عجب حين جمع ما تفرق من النصوص الشرعية ، وألف كتبا تحمسوا لها وساقوا مايلى :

باب ماجاء فى إثبات العين ، واليدين ، واليمين ، والكف ، والأصابع ، والساعد ، والذراع ، والساق ، والقدم ، والرجل ، والتقرب ، والإتيان ، والهرولة ، والضحك ، والفرح ، والنظر ، والغيرة ، والملال ، والتردد ، والصبر . .[1]

---

(١) ولا ندرى كيف يفهم هؤلاء قوله تعالى « إنا نسينا كم ، وقوله «وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا » فهل يثبتون النسيان على الله تعالى ويزعمون أنه نسيان يليق بجلاله ؟! سبحان الله عما يصفون .

ان هذا الموقف تنقصه الخشية من الله عزوجل . .

ولم يكن أحد من صحابة رسول الله يسأل عن اليمين والأصابع ، ولم يتوقف إيمان أحد منهم على إثبات صفة الضحك والفرح ، وأدركوا بحسهم الفطرى المعانى العظيمة للغة القرآن المجيد الذى نزل بلسان عربى مبين يعرف الحقيقة والمجاز فى التعبير ، وأنه إذا خلا الكلام عن المجاز خلا عن الحسن . . ! !

إن هذه النصوص الشرعية لا تقدم صفة من صفات الذات الإلهية ، ولا تأمر بعقيدة يرتبط بها الإيمان . .